الأهرام

المصدر: الاهرام

التاريخ : ١٢ اغسطس ٢٠٠٢

العلاقات المصرية السودانية.. إلى أين؟

العودة إلى وادى النيل

نبيل عبد الفتاح

بداية يبدو للمتابع لشئون وهموم العلاقات بين وادى النيل، أن الاهتمام الإعلامى المصرى بما يجرى فى السودان بعد اتفاق ماشاكوس، هو مشهد متكرر فى تاريخ العلاقات بين البلدين، ويؤكد الانتقاد السودانى النمطى أن اهتمام الصفوة السياسية والمثقفة فى مصر بالسودان ينطلق من اعتبارات أمنية ومائية تدخل ضمن العقيدة الأمنية المصرية، فى حين أن النخبة السودانية السياسية تعرف مصر فى دخائلها السياسية والاجتماعية والثقافية، أن فورة الاهتمام الأخير وتداخل الكتابات الإنشائية والشعاراتية والأصوات العالية لابد من التوقف عند هذه الظاهرة، لأن بعضها ينطوى على عدم فهم وتعمق لدخائل العلاقات، وكونها لا تبتسر فى المياه والأمن ، وانما ثمة تداخل ثقافى وتاريخى ، وبين الحركة الوطنية فى البلدين ضد الاستعمار البريطانى الخ.. ان اهتمامات الصفوة الحاكمة والمعارضة والمثقفة فى غالبيتها وليس كلها بالسودان المجتمع والدولة والثقافة يتسم بالعرضية والطابع الاستثنائى بين الحين والآخر لا النزعة التراكمية، التى تؤصل لتقاليد لانتاج المعرفة، ولا تخضع للأهواء السياسية السائحة بين الحين والآخر، ولا للطابع الانتقائى ظهر هذا الخلل فى مراحل عديدة ، منها الاهتمام الذى ظهر مع الانقلاب العسكرى الانقاذى! ثم سرعان ما فترت المتابعة الإعلامية والبحثية إلا فيما ندر - على الرغم من ان النظام الحاكم جعل السودان ملاذا لجماعات دينية سياسية مارست الارهاب، بل وشاركت فى عمل ارهابى فاشل استهدف رمز الدولة المصرية!.

إن ملف العلاقات مع وادى النيل أكبر وأهم من أن يترك للعقل البيروقراطى، او بعض الموظفين السياسيين، ومن ثم يجب أن يكون جزءا رئيسيا من اهتمامات واختصاص اعلى مستويات الادارة السياسية رهافة واقتدارا. إن بعض جوانب الخلل فى العلاقات مرجعها امور اكثر تعقيدا منها؛ ممارسات وتصورات الصفوات السياسية السودانية الطائفية والحديثة والعسكرتارية والانقلابية فضلا عن تصور البعض داخل النخبة المصرية ان السودان المتعددوالمركب، هو مصر المركزية الموحدة ذات التقاليد العريقة للدولة الأمة، وهذا خطأ فادح، ومن ثم تعضيد الانقلابات فى بعض المراحل ودعمها، كان يعكس خطأ فى الحسابات السياسية على المستوى التاريخى، مهما حسنت النوايا، فى اعتبار المؤسسة العسكرية السودانية قادرة على توحيد السودان، وهو ما ثبت انه غير دقيق فلا هى، ولا الصفوة السياسية المدنية استطاعوا انتاج استقرار سياسى، ولا توحيد البلاد، ولا بناء أمة سودانية موحدة.

بداية يتعين علينا إيلاء عناية قصوى للمفهوم والصيغ التكاملية والإنمائية فى وادى النيل، ودول الحوض انطلاقا من اهتمامات سياسية واستراتيجية وثقافية واجتماعية أوسع مدى من المفاهيم الضيقة التى سادت فى العقود الماضية.

إن الرؤية المتكاملية تنهض على تاريخ عميق من العلاقات الشعبية بين ابناء وادى النيل، فضلا عن الطاقة المصرية الاستيعابية للتنوع الثقافى فى السودان، وهى قدرات تاريخية على التمثل والهضم، واعادة الانتاج والتوزيع، ان ملايين المواطنين من ابناء وادى النيل الجنوبى هم جزء من نمط الحياة فى شمال الوادى، ويقدمون مثلا حيا على خصوصية العلاقات بين البلدين، بعيدا عن تقلبات السياسات الرسمية.

من هنا لابد من استمرارية الموقف المصرى الرسمى، والشعبى القائم على عدم ربط العلاقات بين الشعبين، والمواقف الحكومية المتغيرة، لأن التداخل الشعبى وعمق الروابط الثقافية والاجتماعية أخطر من أن تكون رهينة المناورات والمزايدات السياسية والحزبية والانقلابية التى تدار هناك لأسباب داخلية محض!. ان اعادة التوازن الى قائمة الاهتمامات والاعمال الأساسية للسياسات الخارجية المصرية امر من الأهمية بمكان سواء فى نظام حوض النيل او افريقيا لأنها اصبحت مجالا للتأثير الموجع على مصر أمنيا من الولايات المتحدة واسرائيل وبعض دول الايجاد فضلا عن دور نيجيرى يعد نفسه لدور اكبر على الصعيد الدولى مع جنوب إفريقيا لتمثيل القارة فى حال توسيع العضوية الدائمة فى مجلس الأمن.

إن الخطاب السودانى الاتحادى والشعبى يصف العلاقات مع مصر بالأزلية على الرغم من اسطورية الوصف ولا تاريخيته الا انه يكشف عن ادراك عميق لخصوصية وفرادة

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

الوشائج الثقافية والتاريخية والاجتماعية، وهى من ثم تتجاوز السلطات والصفوات الحاكمة فى كلا البلدين لتغدو جزءا من الخطوط الحمراء التى لا يجوز المساس بها فى اطار المناورات والمزايدات الحزبية والسياسية الصغيرة!. ان تطوير العلاقات الحزبية بين الحزب الحاكم المصرى ، وبين احزاب المعارضة الاساسية والاحزاب السودانية امر من الأهمية بمكان لتطوير التفاعل السياسى بين البلدين وخارج أطر البيروقراطية والموظفين السياسيين - من هنا ضرورة اسناد الملف السودانى الى شخصية سياسية بارزة بالمعنى الحصرى للتعبير ومفوضة بصلاحيات لحل المشكلات الطارئة الى جانب توجيهات الرئيس مبارك ، نظرا للفجوات واللامبالاة الاعلامية بالشئون السودانية او المعالجات المشوهة والسطحية فى الصحافة تحديدا ومن ثم يتعين العمل على:

١ - تكوين كادر صحفى متخصص حول السودان - حوض النيل والاطار الافريقى عبر دورات تكوينية وتأهيلية متخصصة تخطط لها وزارة الخارجية، ونقابة الصحفيين.

٢- ضرورة وضع ميثاق توجيهى من النقابة للصحف بخصوص بعض الممارسات اللامهنية فى وصف بعض الأوضاع والجماعات بنعوت يرفضها المنطق المهنى، سواء عبر التمييز أو النية او الاستعلاء او الألفاظ الفظة كقول بعضهم بجهالة، إن الحركة الشعبية لتحرير السودان إنها إسرائيل جديدة فى الجنوب ؟!!.

٣ - ثمة نزوع لدى بعض كتاب الدراما السينمائية والمتلفزة فى انتاج صور نمطية حول الشخصية السودانية، وعلى هؤلاء أن يرعوا فى محاولة إنتاج معالجات درامية مركبة تعكس تعقد وتنوع الشخصية السودانية.

٤ - هناك إتجاه إيجابى سابق يجب تطويره فى رفد التأليف الموسيقى المصرى، بنمط الموسيقى المؤسسة على السلم الخماسى، وهو عامل إثراء للنغمات والجمل الموسيقية.

٥ - يجب أن تقدم أكاديمية الفنون عددا وافرا من المنح الدراسية للأخوة فى جنوب وادى النيل لاسيما فى المناطق الاستوائية والوسط للدراسة بالأكاديمية.

فى إطار العمل الأكاديمى والثقافى:

١ - علينا أن نؤسس أقساما حول الشئون السودانية وحوض النيل فى كليات الآداب والاقتصاد والعلوم السياسية لتناول الجوانب الجيوبوليتيكية، والقانونية، والنظم السياسية، والأنثربولوجية، والسسيولوجية، والتاريخية، والحركة الفنية والجمالية والإبداعية، والحركة السياسية إلخ، وذلك كجزء من الدراسة الجامعية ثم ما بعدها، ويمكن التفكير مستقبلا فى جامعة حول حوض النيل وإفريقيا، ولنبدأ ببعض الأقسام والمراكز البحثية المتخصصة، يدرس فيها مصريون، وسودانيون، وأجانب، تقدم هذه الأقسام مع غيرها من الكليات منحا دراسية متميزة للطلاب المصريين والسودانيين، واعداد منح للنابهين للدراسات العليا، والتدريب بالخارج فى الولايات المتحدة، وبريطانيا لطلاب مصريين وسودانيين يدبر لها التمويل دوليا، ومصريا، وعربيا ومن رجال الأعمال.

٢ - التخطيط لمجموعة من البحوث الأكاديمية والنقدية حول الحركة الثقافية السودانية فى الشمال وتطوراتها، مع ضرورة إيلاء عناية خاصة لاكتشاف الحركة الإبداعية فى جنوب السودان والتأصيل لها ، لأننا إزاء حقل بكر فى الدراسات النقدية، وحول الأجيال الثقافية فى السودان.

٣ - إعداد مجموعة من البحوث السوسيو - انثربولوجية والسياسية حول السودان جنوبه وشماله.. إلخ.

٤ - إعداد خطة للنشر مشتركة بين أجهزة وزارة الثقافة المصرية والسودانية، وأسابيع مشتركة فى السودان، ومصر. ونشر مكتبة عن السودان بأثمان زهيدة على نمط مكتبة الأسرة، وترجمات عن المراجع الأساسية حول السودان المنشورة باللغات الأجنبية.

هناك حاجة لإنماء الروابط والشبكات بين المنظمات غير الحكومية، والعناية بالمرأة السودانية من قبل المجلس القومى للمرأة فى مصر، فضلا عن نقل الخبرات والتدريب فى المجالات الإنمائية، كما يحدث من بعض مراكز حقوق الإنسان المصرية ، من ناحية أخرى، ضرورة تفعيل العلاقات فى مجال البحوث الدينية الإسلامية والمسيحية، لأن هناك دورا تاريخيا للكنيسة الأرثوذكسية فى السودان وأثيوبيا وأريتريا، ولابد من دعمه بعد محاصرته من المؤسسات المحلية هناك! وهذا لن يتم إلا فى إطار تطوير الخطابات الدينية المصرية، عبر نوعية جديدة لرجل الدين المتخصص فى شئون هذه المنطقة المركبة، وهى أمور وعظية لا علاقة لها بالتبشير الدينى، وإنما المساهمة فى دعم خطاب دينى إصلاحى، يبدأ هنا، وقد يلعب دورا هناك.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية